مقتطفات من ملف اللقاءات المناطقية

رسالة الدعوة للقاء

مواضيع النقاش

خلاصة اللقاء

رسالة الدعوة

مرفق مع هذا الإيمايل ملف جامع للرسائل والمواضيع التي سنناقش تفاصيلها ابتداءً من الأسبوع القادم.
من المفيد مراجعتها ثانية، مع التوقّف عند ما تمّ إبرازه باللون الأحمر، والتفكّر بالنقاط التالية:

- ما علاقة، أو ما هي أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين ما قمت بشرح خلفياته ومنذ عشر سنوات (في الحلقة الثانية، وفي الحلقة الثالثة خاصةً، من كتاب 'الواقع والحقيقة') من هيمنةٍ للأقليات الاستهتارية على صناعة قرار الإدارة الأميركية زمن الرئيس جورج و. بوش، وبين ما أسلطِ الأضواء عليه اليوم (في رسالة 'زمن الفتنة والمفتنين'، وفي الرسائل الأربع التي سبقتها) من هيمنة للأقليات الاستئصالية على أصحاب القرار (أو على صناعة القرار إن كان هناك من مؤسسات لصناعة القرار) في العالم العربي؟

← ما هي القواسم المشتركة (وقواسم الاختلاف) بين النخب المهيمنة في العالم الغربي (بشكل عام)، وبين "النخب" المهيمنة (والمتسلطة) على العالم العربي، من حيث الذكاء والعلم والانفتاح على الحقائق؟ وهل هناك من تشابه بين "بساطة" شخصية جورج و. بوش (كلامه وتصرّفاته وبعض "حركاته" الغريبة)، وبين بساطة معظم الحكام العرب من حيث قوة "التعقيد" (أو كما يُقال "مقطَّع موَصَّل" بالتعبير اللبناني)؟

- هل يمكن للعقلاء في العالم الغربي (وفي القارة الأوروبية على وجه التحديد) تغيير قواعد اللعبة، مع وضع حدّ لفكر الهيمنة ولما تفرضه الأقليات المهيمنة من "واقع" محكوم بالتشاؤم وبـ "انعدام الثقة" (وكما فصَّلته في وثيقتي البيان Doc A وشرحه في A1 Paper، وفي رسالة 'الاتحاد ومقوّمات البقاء')؟ أم أن بداية نهاية "هيمنتهم" قد أصبحت واقعاً لم يعد بالإمكان مواجهته، أو تعديل "المسار الطبيعي" فيه؟

- هل بإمكان البديل (ما أشرت إليه وبشكل سريع في نهاية رسالة 'الاتحاد ومقوِّمات البقاء) النجاح في اجتناب الوقوع في ما سقط فيه وبه سابقه، أم أن "اللعبة" باقية مع "تغيير في الوجوه"؟ وهل يمكن للعالم أن يستمر من دون "نظام عالمي" جديد يستلزم فرضه "قلباً للطاولة" أو حرباً أو مواجهة عالمية رابعة؟ وما هي أوجه الشبه بين إدارة "الجمهوريين" "في ظل" "قيادة ترمب" وإدارتهم زمن جورج و. بوش؟

اللقاء الأول

عنوان اللقاء: ’لقاء الانسجام الرؤيوي‘

هدف اللقاء: الاتفاق على رؤية "مشتركة" للحدث السياسي، أو على ما هو أقرب إلى حقيقة ما جرى ويجري من أحداث وتطورات سياسية... هذه ’الرؤية المشتركة‘ لا تعني توحيد الآراء أو الاجتماع على رؤية واحدة، إنما في ما فيه انسجامٌ بين تشخيصات متعدّدة تنظر إلى الحدث من جميع زواياه المختلفة.

مواضيع النقاش

- الحلقة الثانية والحلقة الثالثة من كتاب الواقع والحقيقة (نسخة عن الحلقتين في مل يلي)
- رسالة ’زمن الفتنة والمفتنين‘ (General Communiqué / 2016, page 38)
- وثيقتي Doc A و A1 Paper (General Communiqué / 2016, pages 23-33)
- رسالة ’الاتحاد ومقومات البقاء‘ (General Communiqué / 2016, page 35)

الحلقة الثانية

السياسة الدولية المعاصرة: بين الواقعية والأمر الواقع

لقد أخطأ "الغرب" من قبل نتيجة استغلال حكامه لسلطة الكنيسة، وتشويههم ’للأحكام الإلهية‘؛ وبدل محاسبة المخطئ ومعالجة أسباب ’الخطيئة‘، ألقِي باللوم على ’الخالق‘ ووُجِّهَت الإتهامات و"أحكام الإعدام" إلى الدين و’العقيدة‘... ثم أخطأ الغرب مرة ثانية، نتيجة "طمع" المتنفِّذين فيه والقابضين على أمره، ليدخلوا الناس بـ "أنانيتهم" في حرب عالمية دامية؛ وبدل مراجعة الحسابات ولجم "روح الجشع" في نظامهم المادي الإحتكاري اللاأخلاقي، وُجِّهَت الإدانة إلى ’أصل الإنسان‘ وإلى ’الإنسانية‘، وإلى كل المبادئ الأخلاقية... وها هم يريدون اليوم "إقناع" العالم بما وصلوا إليه من آراء سلبية متشائمة، وإلزام كل المجتمعات البشرية بما فرضوه على شعوبهم من "أمر واقع" تحت شعار ’الواقعية السياسي‘ Political Realism.

الواقعية السياسية: جذور تاريخية

ومع أن ما يسمى بـ ’الواقعية‘؛ وكنظرية ’رسمية‘ في علم العلاقات الدولية؛ لم يكن لها تأثيرها قبل فترة الحرب العالمية الثانية، إلاّ أن لتلك النظرية جذور تعود إلى زمن المؤرخ الإغريقي ’ذوسِّدِيس‘، أو ’ذوسِّدايدِس‘ Thucydides في كتابه الشهير ’تاريخ الحرب البيلوبونيزية‘ History of the Peloponnesian War (431-404 BC)، وعالم ’الاستراتيجية العسكرية‘ الصيني ’صُن تزو‘ Sun Tzu في كتابه ’فن الحرب‘ Art of War خلال ’فترة الولايات الحربية‘ Warring States Period (403-221 BC). ولقد نوقشت هذه النظرية بعدها من جوانب مختلفة، ولكن في ظروف مماثلة ومن قبل منظرين عسكريين وفلاسفة من أمثال ’نيكولو ماكيافيللي‘ Niccolo Machiavelli (1469-1527)، ’توماس هوبز‘ Tomas Hobbes (1588-1679)، و’كارل فون كلاوزفِتش‘ Carl von Clauswitz (1780-1831). ففي الوقت الذي يقدِّم فيه ماكيافيللي العالم بصورته السلبية "السوداوية" التي يجد فيها الإنسان نفسه أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن يلجأ إلى ’استغلال ضعف الجماهير‘ أو ’عامة الناس‘ من حوله، أو أن يقع رهينة أو ’فريسة‘ لغوغائيّاتهم و’معاملاتهم المهينة‘، يؤكد هوبز على أن ’طبيعة الخلق‘، إنما هي أشبه بحالة حرب ’الكل ضد الكل‘ war of all against all، أو أن ’الحرب هي السبيل‘، كما يقول فون كلاوزفتش، ’في صراع أبدي على السلطة، من أجل البقاء ودفاعا عن الوجود، في عالم فوضوي غير آمن‘.

<u>إن أول ما يلفت النظر في هذه النظرية، أنها غالبا ما كانت تثار في ظل الإهتزازات الأمنية، وعلى أثر الحروب الدامية، تماما كما "فرضت" نفسها مؤخرا على وقع الحروب والثورات الشعبية التي شهدتها ساحات ’الغرب‘ منذ منتصف القرن التاسع عشر، وصولا إلى الحرب العالمية الثانية.</u>
وبدلا من أن يكون للنظرية مكانها في دُور وساحات الفكر والعمل السياسي كقراءة من بين القراءات، فإذا بها تُفرَض وبطريقة تسلّطية، "من وحي المناسبات" الصعبة التي ولدت في ظلها وفي أجوائها، وبأسلوب "إلغائي" لكل ما سبقها وخالفها، وفي ظروف إستثنائية، بعيدة عن المنطق والواقعية.

لقد نمت وهيمنت هذه النظرية على ما كان يشغل الساحة الأكاديمية حتى مطلع القرن العشرين من نظريات مؤيدة لـ 'مذهب المثالية' Idealism، لا لضعف أو خلل في مبادئ هذا المذهب "التوفيقي" المسالم، ولكن لبعده أو عدم "تأقلمه" مع المستجدات ومع الواقع الجديد الذي أفرزته النزعة الفردية والمادية على الساحة الأوروبية[1]. وفي الوقت الذي يمكن فيه للإنسان أن يتفهَّم أسباب فشل منطق "المثالية" في الحياة السياسية المعاصرة، إلاّ أن ما تدَّعيه "فلسفة الواقعية" من واقعية، إنما فيه الكثير من التشويه والتضليل أو التبسيط و"السطحية".

بين 'الواقعية' و'المثالية'

'إن ما يحكم أفعال الناس، إنما هي المصالح وليست الأفكار (أو الأخلاقيات). إلاّ أن ما تخلقه هذه الأفكار من صور مختلفة للعالم'، كما يقول 'ماكس وبر' Max Weber (1864-1920)، 'غالبا ما تجدها وراء تقرير اتجاه المسارات التي على أساسها تتحكم تلك المصالح بأفعال الناس'. فللمصالح دوافع مادية "أنانية" ودوافع فكرية أخلاقية؛ ومَثل المصالح من الأخلاقيات كمثل الواقعية من المثالية من حيث الترابط والحاجة إلى التكامل على أساس التعَقّل والوسطية... وفي الوقت الذي يتخلى فيه أحدهما عن الآخر، يولد التطرّف ويحدث الخلل.

لقد اعتُمِدَت هذه القاعدة على أثر الإنقلابات والتغيرات الإجتماعية والسياسية الكبرى الأخيرة، وليحتفظ على أساسها النظام العالمي الجديد بشيء من التوازن؛ وحتى فترة الحرب العالمية الثانية، إقتصر النداء عند أصحاب 'الواقعية التقليدية' على ضرورة التفريق في السياسة بين الرأي والحقيقة؛ أي بين ما هو محكوم بالفرضيات و'الأماني'، وما هو صحيح بحكم الواقع والعقلانية. وكما يؤكد 'مورغنثو'[2] Hans Joachim Morgenthau (1904-1980)، فـ 'الواقعية السياسية' بطبيعتها 'لا تتطلب ولا تؤيد تجاهل المثاليات السياسية والمبادئ الأخلاقية، ولكنها تُصِرّ على التمييز الدقيق بين ما يتمناه الإنسان، وبين ما يمكن تحقيقه؛ أو بين ما نتمناه في كل مكان وزمان، وبين ما يمكن تحقيقه في ظل ما يفرضه الزمان والمكان من ظروف "واقعة" لا يمكن تجاهلها'[3].

ولعل ما كان يريده 'مورغنثو' من وراء كتاباته أن يضع حدا؛ وكما يقترح بعض المحللين؛ لهذا الخلاف القائم بين 'الواقعية' و'المثالية'، والذي أدى إلى ما شهدته الحضارة الغربية من 'أزمة' أبان الحربين العالميَّتين الأولى والثانية، وما عانته المجتمعات الأوروبية من تطرف في فكر التحرر Liberalism، وتسلط لسياسات 'الأمر الواقع' على حساب الواقع و"المنطق" وكل القيم الأخلاقية.

---

[1] من الصعب أن ننكر تأثير التغيرات الكبرى التي شهدتها الساحة الأوروبية أبان فترة الإصلاح و'عصر النهضة'، ومن الخطأ تجاهل العلاقة المباشرة بين أجواء الحروب المرافقة لتلك الفترة وبين النزعة والنظرة السلبية والمتشائمة لطبيعة الإنسان، والتي سبق وتكلمت عنها في الكتاب السابق وسنتكلم في تفاصيلها لاحقا في ترجمة 'البيان الإنساني'.

[2] هانس جوشيم مورغنثو، هو واحد من أهم منظري 'مدرسة الواقعية' في القرن العشرين، وكان 'رائدا' في مجال 'نظرية العلاقات الدولية'، متأثرا بما عاناه على يد 'النازيين' من 'معاداة للسامية' بعد فترة الحرب العالمية الأولى، وليُحدِث بكتاباته تغييراتا جذرية في مبادئ ومفاهيم العلاقات الدولية و'الدبلوماسية' وفي سياسات الدول الخارجية.

[3] راجع مقدمة كتاب Politics Among Nations: The Struggle for Power and Peace (NY, 1978)، الطبعة الخامسة، الصفحات 15-4، لمورغنثو؛ مع الإشارة إلى أهمية الكتاب وكمرجع رئيسي لطلاب السياسة الدولية منذ كتابته وإلى يومنا هذا، ولما لعبه من دور أساسي في تهيئة الولايات المتحدة للعب دور 'القوة العالمية المهيمنة'، أبان وبعد فترة الحرب الباردة.

لعله كان يريد تهيئة الأجواء من أجل إصلاح الخلل و'حالة التحلل' في 'الفكر السياسي الغربي'، اللذي كان وما زال بأمس الحاجة إلى منظور أو 'نظرية أفضل' ومُجَدِّدة للفكر والعمل السياسي، وقادرة على ردم الهوة أو 'التوفيق' بين المصلحة الوطنية National Interest والمصلحة الخاصة Self Interest، وبين المبادئ الأخلاقية Moral Principles وواجب الدفاع والحفاظ على مصلحة و'بقاء' الأمة والوطن The Moral Principle of National Survival... ولكن، و"كالعادة"، وكنتيجة محتملة لسوء التعبير أو سوء الفهم، أو تفسيرا إنتقائيا متعمدا ولغايات واضحة ومعروفة، تُهَمَّش الإيجابيات والحقائق، وتُبنى على السلبيات وعلى الشبهات "الوقائع"، ليصبح بعد ذلك الشعار في ما قاله يوما "المُلهِم العظيم" أبيراهام لينكولن: 'لا يهمني ما يُقال عني إن نجحت في النهاية؛ وإذا ما انتهى بي الأمر إلى الفشل، فإن عشرة ملائكة تحلف بالله أنني كنت صائبا ومحقا في مسلكي، لن يغير من الأمر شيئا'.

نظرة 'الواقعيين' للقيادة السياسية

'إن على رجل الدولة أن يفكر ويعمل ضمن مفهوم المصلحة الوطنية'، وبخلاف المنطق العام الذي يقَيِّم الأمور عادة على أساس 'قواعد أخلاقية وقانونية مبسَّطة للخير المطلق والشر المطلق' simple moralistic and legalistic terms of absolute good and absolute evil.[4] فعلى أساس هذه القاعدة "الواقعية"، المخالفة للأعراف الديمقراطية، امتازت رئيسة وزراء بريطانيا 'مارغريت تاتشر' Margaret Thatcher على خلفها الأكثر لطافة 'جون مايجر' John Major؛ تماما كما أثبتت سياسات 'ونستن تشيرشل' Winston Churchill من قبل تفوقها على أخلاقيات سلفه 'نُفيل تشامبرلاين' Neville Chamberlain، كما يقول 'مورغنثو'.[5] ولكن الواقعية الحقيقية التي دعا إليها الكثيرون من منظري ومؤيدي 'الواقعية السياسية'؛ وعلى رأسهم 'هانس مورغنثو'؛ لم تكن لتقدِّم ما يفرضه الواقع من نمط فكري وعملي مرحلي على ما يقتضيه المنطق و'الأخلاقيات' من مبادئ ومسارات ثابتة وراسخة... وما كانت لتسوِّق أو تبرِّر ما تتَّبعه اليوم كل القيادات السياسية من سياسات للأمر الواقع، ولمصالح شخصية، بإسم الواقعية وعلى حساب المصالح العامة والوطنية.

'إن أفضل ما يكون عليه القائد (السياسي والإجتماعي)، عندما "يكاد" يشعر الناس بوجوده؛ قليلا عندما يطيعونه ويهللون له؛ وإن أسوأ ما يكون عليه عندما يكرهونه' Lao-Tsu (630 BC). هذا ما يستشهد به عالم 'العلاقات الدولية' المعاصر 'جوزف ناي' Joseph Nye (born 1937)، وما يؤكد عليه في كتاباته، عندما يُسَلِّم بما يحتمله قول 'ماكيافيللي' من صِحّة في تقديمه لمصلحة 'مخافة القائد' على 'محبته'، وليذكِّرنا بعد ذلك أن ما يقابل المحبة هو 'الكراهية' وليس الخوف!

---

[4] Hans J. Morgenthau and Kenneth Thompson, 'Politics Among Nations', 6th edition (New York: McGraw-Hill, 1985), p. 165.

[5] يقول 'مورغنثو' في كتابه السابق الذكر 'السياسة بين الشعوب' Politics Among Nations، في سياق كلامه عن "مبادئ الواقعية السياسية الست" Six Principles of Political Realism، أن ما كان يتبعه 'تشامبرلاين' من 'سياسات للتهدئة'، إنما كانت نابعة من نواياه الصادقة للحفاظ على السلام وخير الجميع؛ 'ولعله كان الأقل إهتماما بمصالحه الخاصة من أي رئيس وزراء بريطاني آخر'، إلاّ أن أخلاقياته هذه 'جعلت من الحرب العالمية الثانية حقيقة لا مفرَّ منها، كما جلبت في النهاية المآسي لملايين الناس'... مقارنة مع ما كان يبتغيه 'تشيرشل' من مصالح خاصة، وطنية و'شخصية'؛ ألاّ أن ما تمخض عن هذه 'النوايا الدنيئة' من سياسات خارجية "واقعية"، إنما أدت في النهاية إلى نجاحه السياسي.

ومن المعروف أن ’القيادة لا تقتصر على إصدار الأوامر، بل بالقدوة والأسوة الحسنة والمقدرة على جذب الآخرين ليقوموا بما تريد‘، عن طريق ’الإقناع بالحُجَّة‘ والبراهين الملموسة، وبـ ’الرؤيا‘ التي على أساسها يتَّبِعك الآخرون... وإن ما يساعد على خلق هذه الخيارات والقناعات عند عامة الناس، أنما يكمن في تلك القوى الخفية المتمثلة في مجموعة من ’العوامل المعنوية‘ intangible assets، من ’شخصية جذابة وقِيَم ومؤسسات ورؤية، قيمتها في شرعيتها وفيما تمتلكه من سلطة أخلاقية‘، مما ’يخفف من تكاليف القيادة‘، عندما يرى الناس فيها شعارا ومثالا يُقتدى به[6]. ولكن، عندما ننظر إلى ما يجري على ساحة الواقع، مقارنة مع ما "يعلنه" أصحاب ’التحاليل البناءة‘ من منطق إيجابي، ندرك عندئذ خطورة ما يجري من وراء الكواليس من تلاعب بإرادة وتوجهات المؤسسات والدوائر العلمية والسياسية "المؤثرة" على مراكز ’صناعة القرار‘ الدولي[7].

مبدأ ’سياسة القوة‘

من طبيعة الإنسان والشعوب أو المجتمعات البشرية أن تتقدم وتتطوَّر مع تغيرات الحياة، وعلى مَرّ الزمن تجدها (المجتمعات البشرية) في ’حالة مخاض‘ متجددة من التغيرات الإجتماعية. وما يُميِّز أصحاب ’الواقعية السياسية‘ عن غيرهم من المدارس الفكرية، ما يقدِّمه "الواقعيون" من أساليب "ملتوية" ’للتلاعب بما سبق وحدد مسار تلك التغيرات من قبل وسيحدده في المستقبل‘[8]. وفي الوقت الذي يجمع فيه الحكماء على دور القيادة الحكيمة والصفة التقدمية للتغيرات الإجتماعية، يصر "الواقعيون" على مبدأ ’القوة‘ الضامنة للمصلحة التي تتحرك على أساسها القيادات السياسية... وفي الوقت الذي يشدد فيه العقلاء على أهمية القيم والبصيرة والأسوة، كمكونات أساسية لقوة القيادة، يصف ’الواقعيون الجدد‘ من ’يجيد إكراه الناس‘ على الإنصياع لرغباتهم بـ ’المتسلطين العظماء‘![9]

’إن المفهوم الأساسي للقوة، هو المقدرة على "التأثير" على الآخر ليفعل أو يقوم بما تريد‘، إما عن طريق ’التهديد بالعصا‘، إما عن طريق ’الترغيب بالجزرة‘؛ أو إذا أمكن، فبالإقناع والتأثير على رغبات الآخرين ’ليذعنوا‘ لما تقتنع وترغب به[10]. إن في ’قوة الجذب‘[11] هذه إختصارا وتوفيرا للكثير من المآسي إذا ما أمكن اتباعها، وكبديلٍ "واقعي" لما يهيمن اليوم وبالأمس على ما يسمى بالواقعية السياسية من قهر وجبرية[12]، شرط توَفُّر مقوِّمات نجاح هذه السياسة البديلة من ثقافة مُقنِعة، وقِيَم خالية أو بعيدة عن النفاق عند التطبيق، وسياسات خارجية شرعية وقانونية في عيون الآخرين. ولكن، عندما نرضى بإخراس لغة المنطق وتهميش القيم والشرائع... فشريعة الغاب عندئذ هي البديل.

---

6 مقتطفات من بحث أكاديمي لجوزيف ناي تحت عنوان: "Soft Power, Hard Power and Leadership".

7 المقصود هنا، هي ’النخبة العاطلة‘ المسيطرة حاليا على تلك المؤسسات، أمثال The Fletcher Foundation، The Carnegie Foundation، Chatham house، الـ CFR والـ ESRC، على صعيد المثال وليس الحصر.

8 المبدأ الثالث الذي حدده مورغنثو في المرجع السابق: Six Principles of Political Realism.

9 Roderick Kramer, "The Great Intimidators", Harvard Business Review, Feb 2006, p 90

10 أو ما يسمى بمبدأ ’القوة الناعمة‘ Soft Power الذي دعا إليه البروفيسور ’جوزيف ناي‘ Joseph Nye, Jr. من جامعة هارفرد Harvard في سنة 1990، ليطور به ويفصله بعد ذلك في كتابه ’القوة الناعمة: السبيل إلى النجاح في السياسة الدولية‘ Soft Power: The Means to Success in World Politics في سنة 2004.

11 أو ’Attractional Power‘: التعبير الذي استعمله جوزيف ناي في تعريفه لمفهوم ’Soft Power‘.

12 "قوة الإجبار"، أو ما يسمى بـ ’القوة الصلبة‘ Hard Power، والتي تعتمد غالبا على غلبة ’المعايير الكمِّية‘: كعدد السكان، وعظمة وقوة الجيش أو القوة العسكرية، وحجم ’إجمالي الناتج المحلي‘.

إن ما تشهده الساحة الأكاديمية من خلافات فكرية جديدة، "محصورة" في خياري سياسة القوة من ’قوة صلبة‘ وأخرى "ناعمة"، وفي ظل أحكام سلبية ومُسبقة لما تحتمله ’قوة الإقناع‘ من بدائل يُعمل على إزالة أسباب ومقومات نجاحها؛ إنما سينتهي بنا مجددا لما فيه مصلحة وتثبيتا لمنطق القوة المعتمدة حصرا على أساليب المكر والنفاق السياسي. إن ما ستشهده السياسة الدولية من بديل مؤقت لما مارسته القوة العظمى من "تسلط" على أساس خيار ’القوة الصلبة‘ لا يمكن أن تعلق عليه الآمال، وإن ما ستتبَّعه هذه "القوة" خلال السنوات القليلة القادمة من "سياسة ناعمة" لن يغيّر من الأمر شيئا. فنصيب سياسة ’ليِّ العقول‘ لن يكون أفضل من نصيب سياسة ’ليِّ الأذرُع‘ في ظل النوايا السيِّئة؛ وعلى من يعلِّق الآمال على إحقاق الحق في هذه الحالة أن يستفيق من ثباته؛ وعسى أن نُثبِت للتاريخ أننا بشر يفكر ويعقل ويتقدّم ويتطوّر، وأن ما يُفرض علينا في ظل الجهل والضياع من ’أمر واقع‘، ومفاهيم "حيوانية" لما يحكم حياتنا ومصالحنا، إنما هي حالات إستثنائية "شاذة" لا يمكن لها أن تدوم.

إن ما نعيشه اليوم مما يسمى بـ ’سياسة القوة‘ Power Politics، إنما هو تعبير حديث أطلقه العالم الإنكليزي ’مارتن وايت‘[13] Martin Wight (1913-1972) على ما رءاه وقيَّمه من حالة للعلاقات الدولية بين ’سيادات‘ Sovereigns، أو دول ’ذات سيادة‘، همُّها حماية كياناتها ومصالحها عن طريق تهديد بعضها البعض بالقوة العسكرية أو الإقتصادية أو السياسية؛ الغلبة في هذه ’التركيبة‘ لمن يمتلك القدرة على إيزاء الآخرين! وعلى هذا الأساس، فإنه من "طبيعة" الدول، أو "الشعوب"، أن تتنافس على مصادر الثروة والقوة والحياة في صراع أزلي من أجل البقاء، المصلحة الخاصة فيه دائما فوق مصلحة الآخرين، أو مصلحة ما يسمى بالمجتمع الدولي... وعلى هذا الأساس أيضا انبنت السياسة الدولية المعاصرة، وفي ظل هذا المفهوم للعلاقات الدولية أنشئت المؤسسات الدولية الحالية؛ أي أن ما يسمى بـ ’المجتمع الدولي‘ أو ’الأمم المتحدة‘ أو ’مجلس الأمن‘ أو ’المحكمة الدولية‘ وغيرها من المؤسسات الدولية "الإنمائية" أو "الخيرية"، إنما هي من أجل التخدير وكسب الوقت، ومن أجل تثبيت ’الأمر الواقع‘، لا للأمن والإستقرار، ولا للسلام وخير الإنسان، كما يظن الكثيرون.

المستقبل والحقيقة

إن ما يحكم السياسة والعلاقات الدولية اليوم تحت شعار ’الواقعية السياسية‘، إنما هو مبني على فرضيات فلسفية إجتماعية "متشائمة"، تُصرُّ على الأصل "المشاغب" و’الأناني‘ للإنسان، وعلى الطبيعة ’العدوانية‘ للدولة، في ظل نظام عالمي ’فوضوي‘ تتحرك فيه الدول على أساس الرغبة في تحقيق أكبر قدر ممكن من القوة والنفوذ و"الهيمنة"، بدلا من ’القيم‘ و’المبادئ العامة‘... كل دولة تسعى، وبشكل منفرد، من أجل تحقيق مصلحتها الوطنية المتمثلة ببقائها و’بأمنها القومي‘ المعتمد بدوره على ما تمتلكه الدولة من قوة عسكرية وإقتصادية... وبالتالي، فإنه من المستحيل، حسب رأي مؤيدي هذه النظرية، الإتفاق أو الوصول إلى ’قيم مشتركة‘ أو ’مبادئ دولية مشتركة‘، أو أي إجماع على أي نظام دولي جامع، في ظل غياب ’حكومة عالمية‘ World Government قادرة على "فرض القانون" و"معاقبة من يسعى إلى تحقيق مصالحه الخاصة على حساب الآخرين".

---

[13] يعتبر ’وايت‘ من أهم أساتذة ’العلاقات الدولية‘ في القرن العشرين، كما يعتبر كتابه ’سياسة القوة‘ من أهم الكتب وأكثرها تأثيرا في مجالات السياسة والعلاقات الدولية، العلمية والتطبيقية، ومنذ الحرب العالمية الثانية، إلى يومنا هذا.

إن ما تثيره وتروّج له فعاليات ʼالنخبة العاطلةʻ المتسلطة والقابضة على مراكز صناعة القرار من صورة سلبية للواقع البشري، ولأصل الإنسان، يستحيل على أساسها الوصول إلى ما يحتاجه ʼالمجتمع الدوليʻ لضمان أمنه و"استمراريته"، من مبادئ وقيم إنسانية دولية مشتركة تحتكم إليها الشعوب والجماعات في علاقاتها وعند الخلاف والأزمات، إنما يُراد به "تيئيس" أصحاب الفكر، وقطع الأمل والطريق أمام أي مبادرة من أجل الإصلاح أو التغيير. وإن ما يطرحه ʼالإحتكاريونʻ على بساط البحث من حل في ما يسمى بـ ʼالحكومة العالميةʻ، إنما هدفه استعادةً لنظام ʼالعبوديةʻ، وتثبيتا للهيمنة القائمة، ومن أجل فرض ما لا يمكن قبوله بالمنطق والطرق الديمقراطية في حال فشل محاولات ʼالإستيعابʻ، أو تغيير ʼالنمط الطبيعيʻ الذي على أساسه يتقدم الناس و"تتطور" الشعوب. ثم إن في ما نشهده من استبدال لتلك ʼالوحدة السياسيةʻ (الدولة) بكيانات أوسع وبمواصفات مختلفة، وفي ظل ما نراه من تحلل لما بنى عليه ʼالواقعيون الجددʻ نظريتهم من دولة شرعية "ذات سيادة"، لدليل قاطع على تخلّف ما تحمله بعض القوى المحلية والإقليمية من عقلية ʼشوفينيةʻ وفكر انعزالي.

إننا نعيش اليوم في ظل ما يسمى بـ ʼزمن المعرفةʻ، وʼثورة معلوماتيةʻ تغيرت فيها القواعد التي انبنت على أساسها الدول والمنظمات المعاصرة؛ وكما يقول ʼمورغنثوʻ، أن ما نعرفه من علاقة بين الدولة والمصلحة، ʼإنما هو من منتجات التاريخ، وبالتالي، فإن مصيره إلى الزوال مع التاريخʻ. وكما بيَّنت ومن بداية هذه الحلقة، فإن ما يستند إليه "الإنعزاليّون" المعاصرون في رفضهم للحقيقة، إنما هو مبني على "نظرية" إستثنائية ترعرعت على وقع الحروب والإهتزازات الأمنية والسياسية، لتُفرَض بعد ذلك وبطرقة تسلطُية إلغائية، على ما كانت وما زالت تحتمله الساحة من واقعية حقيقية. نعم، إن ما أدى في النهاية إلى هيمنة هذه "النظرة التشاؤمية" على ما أفرزته الحركات الإصلاحية أبان ʼعصر النهضة الأوروبيةʻ من إيجابيات وʼمثاليةʻ، إنما يعود إلى فشل ʼمنظري المثاليةʻ آنذاك في متابعة التطورات و"التأقلم" مع المستجدات الإجتماعية. ولكن الفضل في تحقيق تلك "الهيمنة"، وقبل كل شيء، يعود لما قامت وتقوم به تلك النخبة المنَظَّمة من جهد دؤوب وقراءة دقيقة للواقع، وتحليل مفصَّل لما تتحرَّك وتتفاعل على أساسه الجماهير (من خلال ʼعلم النفسʻ وبجميع فروعه)، مما أدى إلى نجاحها في السيطرة على كل أو معظم المؤسسات التربوية والإقتصادية والإعلامية، وعلى "شرايين" الحياة السياسية، وعلى مراكز الضغط و"التأثير" على ʼحركة التطور الإجتماعيʻ.

إن مواجهة الأمر الآن يتطلَّب ومن الجميع التعاون على ما يمكن الإتفاق عليه من قيم مشتركة، أو "مصالح مشتركة" (مجاراةً للأمر الواقع)، تبنى على أساسها "التحالفات الجديدة"، وبما يتناسب مع الواقع السياسي الجديد. وإن ما وصلت إليه تلك النخبة الإحتكارية من نفوذ سياسي واقتصادي، من المستحيل على أي دولة محاسبته ولو مهما كبر شأنها، إنما هو بحاجة إلى نخبة منظمة مقابلة يتعاون فيها الشرفاء من علماء السياسة والقانون وباقي العلوم الإجتماعية مع ما تبقى ʼفي هذه الدنياʻ من ʼطاقاتʻ عملية "نظيفة" وإعلامية "صادقة"، وفي ظل ما يمكن الإجماع عليه من رؤى مشتركة تجمع بين المثالية والواقعية، من أجل تهيئة الأجواء والأرضية "المناسبة" لمعالجة هذا الخلل الدولي. هذا ما يتطلبه الواقع وتستلزمه الواقعية الحقيقية؛ وللحقيقة، أن ما هي عليه معظم الزعامات السياسية والكيانات الرسمية الحالية (إلى أي منظومة سياسية أو "محور" دولي إنتمت)؛ وفي ظل ما نراه من أنا ونفاق وجهل وتخاذل؛ لن يكون في مصلحة الناس أو المصلحة العامة على المدى المنظور... وإلى أن يستفيق العقلاء وقبل فوات الأوان، أو تنتفض الشعوب المسلوبة إرادتها والجماهير المقهورة وما يُعمَل الآن على تخريجه من أجيال ضائعة متمرِّدة "حيوانية" جائعة، لتكون من أول ضحاياها رؤوس تلك الأنظمة المستهترة بحقيقة ما يجري من حولها، وبحق ومستقبل شعوبها والناس أجمعين.

الحلقة الثالثة
لعبة المحاور: محور 'الشر والتطرّف'، ومحور 'الخير والإعتدال'

أملي أن تستمع الشعوب إلى ندائنا، وتتخلّص من الطفيليات الإرهابية التي تتهدد بلادها كما تتهدد بلدنا... وعلى بعض الحكومات التي ستتردَّد في مواجهة الإرهاب أن تعلم جيدا أنها إن لم تتحرّك، فإن أميركا ستتصرَّف. هدفنا أن نمنع تلك الأنظمة الداعمة للإرهاب من تهديدنا أو تهديد أصدقائنا وحلفائنا ... دول مثل هذه، وحلفاؤها من الإرهابيين، يشكلون محور شر يتسلح من أجل تهديد السلام العالمي... الوقت ليس في مصلحتنا. ولن أنتظر الأحداث، في الوقت الذي تتجمع فيه المخاطر... حربنا على الإرهاب بدأت، ولكنها فقط البداية... هي دعوة من التاريخ لنا ولحلفائنا إلى المعركة، وإنه لمن دواعي المسؤولية والفخر أن نحارب قتال الحرية.[14]

جورج و. بوش (كانون الثاني/يناير 2002)

'محور الشر': تذكرة ومقاصد

إن أول ما يبرز في ذهن المواطن عند ذكر كلمة "محور" Axis، خاصة في بلاد الغرب، يتمثل في ما عرفته تلك الشعوب، الأوروبية على وجه التحديد، من تهديدات من قبل 'دول المحور' أبان الحرب العالمية الثانية (ألمانيا وإيطاليا واليابان)، مما يستدعي الإستنفار وبشكل مباشر وتلقائي. ومن الواضح أن استخدام هذا التعبير من قِبل 'بوش' قد تم بعناية "فائقة" ودراسة دقيقة ومسبقة[15]، من أجل تهيئة الأجواء وتحضير الناس لما ينتظرهم من حرب مكلفة لا بد من قبولها وتحمل تبعاتها. فما كان يراد من وراء كلمة 'محور'، وكتعبير مجازي metonym يشير إلى 'النازية' و'الفاشية'، هو التذكير بما سبق الحرب العالمية الثانية من أجواء مشحونة[16]، وكما يقول 'دانيال هيرادستفايت' Daniel Heradstveit (2005)، من أجل 'إعادة تركيب النظام العالمي على النحو الذي كان عليه في الثلاثينيّات – أي محاولة النظر إلى العالم من حولنا بعيون الثلاثينيات؛ فالشر في دول المحور، وعلى الناس أن تتهيأ من أجل مواجهة الأمر'[17].

---

[14] مقتطفات من خطاب 'حالة الإتحاد' State of the Union (29 January 2002).

[15] ومع أن الذي إختار تعبير 'الشر' هو جورج بوش، وذلك لدوافع دينية إنجيلية واضحة، إلاّ أن من قام بدراسة واختيار الشعار كان 'دايفد فروم' David Frum، وهو 'صهيوني متطرف' ناشط في أروقة صناعة القرار السياسي في كل من كندا والولايات المتحدة، كما أنه معروف بذكائه و"حنكته"، وليكون أول موظفي البيت الأبيض والوحيد من غير حاملي الجنسية الأميركية.

[16] بما فيها ما شهدته تلك الفترة من حالة 'كساد عام' وشامل Great Depression على صعيد الإقتصاد العالمي، إنطلاقا من الولايات المتحدة وعلى أثر إنهيار 'البورصة'، ومما أدى في النهاية إلى إندلاع الحرب العالمية الثانية.

[17] ورقة تحت عنوان "The Axis of Evil Metaphor"، قدِّمت في المؤتمر السنوي السادس والأربعون لجمعية الدراسات الدولية في 'هونولولو' / 5 آذار 2005. وهي مبنية على تقرير موسَّع للمؤسسة النروجية للشؤون الخارجية في 'أوسلو' NUPI (تقرير رقم 277 / أيلول 2003)، بدعم وتوجيه من مجلس البحوث ووزارة الخارجية النروجية.

لقد أراد ’بوش‘، وإدارة ’سياسة القوة الصلبة‘ من ورائه، أن يضع حدا مؤقتا للمنطق والعقل، من أجل الإنتقال مباشرة إلى العمل (العسكري)، كما يفصِّل ’هيرادستفايت‘، أيضا، مستشهدا بعد ذلك بما اعترف به أحد مستشاري ’بوش‘ في إحدى المقابلات الصحافية قائلا: ’نحن الآن إمبراطورية، وعندما نتصرَّف، نخلق الواقع الخاص بنا، وبكل دقَّة نتحرَّك مرة أخرى، لنخلق وقائع جديدة أخرى؛ ما يمكن لك أيضا أن تتدارسه؛ وهكذا تتطور الأمور. نحن نصنع التاريخ... أما أنت، وكل العالم، كل ما يمكنكم فعله، فقط، أن تدرسوا ما نقوم به‘[18]. هذا ما يجب أن ننتبه إليه الآن؛ ويكفي أن نعود إلى ما خلصنا إليه في الحلقة السابقة، لنستدرك ما نستطيع إدراكه مما تخفيه "الوقائع" من حقائق، ولنستدل على حقيقة من يقف وراء تلك ’الشعارات المبهمة‘، وما تخفيه الكثير من العناوين البراقة، وما يراد من ورائها على مستوى الساحة السياسية الدولية وعلى الصعيدين الإقليمي والمحلي.

للعبة المحاور هذه مقدمات تعود إلى ما طلعت علينا به الولايات المتحدة في بداية التسعينيات مما يسمى بـ ’الدول المارقة‘[19] Rogue States، وعلى أثر إنهيار الإتحاد السوفياتي. إلا أن ما ألهم ’دايفد فروم‘ في تحديد خياره، يكمن في ما وصف به عالم السياسة الإسرائيلي ’يوسف بودانسكي‘[20] Yossef Bodansky طهران وبغداد ودمشق بـ ’حلف المحور الجديد‘ The New Axis Pact، في تقريره[21] عندما كان مديرا للجنة الخاصة المسؤولة عن قضايا الإرهاب والحرب غير التقليدية the Congressional Task Force on Terrorism and Unconventional Warfare التابعة لمجلس النواب الأميركي. فلقد قالها ’فروم‘ في كتابه ’الرجل المناسب: الرئاسة المفاجئة لجورج و. بوش‘ The Right Man: The Surprise Presidency of George W. Bush أنه و’بالرغم من النزاعات القائمة بين إيران والعراق والقاعدة وحزب الله، إلاّ أنهم جميعا مستاؤون من قوة الغرب وإسرائيل، وكلهم يحتقر ويكره القيم الإنسانية للديمقراطية‘... وفي ذلك ما يكفي لتوضيح العقلية والخلفية الثقافية لمن بيده الآن مفاتيح ’القوة المهيمنة‘، وما يبيِّته هؤلاء لكل الناس، ولشعوب منطقة الشرق الأوسط، وللعرب والمسلمين.

المسألة لا تحتاج إلى الكثير من العناء لنتبيَّن ما يُراد ومن هو المقصود من وراء هذه التسميات من ’دول مارقة‘ و’محور شر‘ و’محور الراغبين‘ Axis of the Willing و’ما بعد محور الشر‘ Beyond the Axis of Evil، إلى ما وصلنا واستقر عليه الأمر مؤخرا على يد ’دان غِلِرّمان‘[22] Dan Gillerman مما يسمى بـ ’محور الإرهاب‘ Axis of Terror. يكفي لأي إنسان أن يبحث عن هذه التعابير وعن أسماء طارحيها على ’الإنترنت‘ ليكتشف ما يَجمَع بين تلك "الجوقة المنظمة" من معتقدات إلغائية لوجود من يخالفهم من الأمم والشعوب، ليراجع حساباته ويعدل من اصطفافاته... وليعلم من لم يعد باستطاعته "توريث" أبنائه مفاتيح التسلط على حياة ومستقبل شعبه ومقدرات بلده، أن التغيير قادم، وأن ما يُطمئنُه به الإستغلاليون و"الجائعون" من تجار الخطابات والمقالات الحاقدة، فليمُدَّهم في طغيانهم؛ وأن ما ينجح فيه هؤلاء من تسويق لفكرة ما يسمى بمحاور التطرُّف والإعتدال لن يدوم طويلا، فالوقت هذه المرة ليس في مصلحتهم... وسيعلم الذين ظلموا غدا أي منقلب ينقلبون.

---

18 Ron Suskind, “Without a Doubt”, *New York Times*, October 17, 2004.

19 شمال كوريا، أفغانستان، إيران، العراق، وليبيا.

20 صهيوني متطرِّف آخر، من مواليد إسرائيل ويحمل الجنسية الإسرائيلية، وممن يجاهر بولائه "الأول" لإسرائيل، وقبل ولائه للولايات المتحدة.

21 تقرير تحت عنوان “Tehran, Baghdad & Damascus: The New Axis Pact” بتارخ 10 / 8 / 1992.

22 سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة (نيسان/أبريل 2006).

أهداف ’لعبة المحاور‘ على الساحة الدولية

وبالرغم من الثروة التي جنيتها في الأسواق المالية، إلاّ أن ما يخيفني الآن، ما تشهده ’الرأسمالية المتحررة‘ من "فلتان" في سبل إنتشارها، وما نراه من فرض ’لقِيَم السوق‘ على جميع جوانب ودوائر الحياة، مما يشكل تهديدا خطيرا لمجتمعنا الحر والديمقراطي. بالأمس كان الشيوعي؛ إلاّ أن العدو الأساسي للمجتمعات الحرة، وكما هو واضح اليوم، يتمثل بـ ’التهديد الرأسمالي‘.[23]

جورج سوروس (شباط/فبراير 1997)

تعقيبا على ما قاله وحذر منه ’ماركس‘ و’إنجلز‘ Marx and Engels في ’البيان الشيوعي‘ the Communist Manifesto سنة 1847 من مغبة ما كانت "وما زالت" تتَّبِعه ’البرجوازية‘ the Bourgeoisie من ’تدمير [ممنهج] للصناعة المحلية‘ و’إستغلال [رخيص] للسوق العالمية‘، فلقد دأب الكثيرون من علماء السياسة على التذكير، ومنذ ذلك الحين، بما يحتمله التحذير من واقعية تستحق الإنتباه والتفكير. وفي الوقت الذي يشدد فيه البعض على ما ينتظر ’النظام الرأسمالي العالمي‘ من أزمة متعلقة بشرعية الدولة[24] Legitimation Crisis، تتواصل لتنتهي بإنهيار النظام بأكمله، ينبّه البعض الآخر من عواقب ما وصلت إليه ’المنظومة السياسية - الإقتصادية‘ من هيمنة شاملة على كل ما عرفته الإنسانية من نظم حياتية وإجتماعية، مشددين على خطورة "الرؤية المحدودة" التي تقيَّم على أساسها ’العولمة‘ an ahistoric and uncritical attitude to globalization، وما تتسلح به ’النخب الفكرية المعاصرة‘ من مبررات أيديولوجية في ظل هذا ’الضعف في التمييز‘، مما يساهم في إزالة كل ما يقف أمام طموحات ’قوى الإحتكار‘ من حدود و"شرعيات" وقوانين[25].

ومع العودة إلى ما سأقوم بتفصيله لاحقا مما أشرت إليه في الكتاب السابق[26] في سياق الحديث عن "الأساليب الترقيعية" التي تتعامل فيها قيادات النخبة العاطلة مع ما يتضمنه النظام الرأسمالي[27] من ’أزمات ملازمة‘ كامنة، فإن كل ما يهم صناع القرار من "متسلطي العصر" أن تُصرَف الأنظار عن أي تشخيص منطقي أو حل واقعي للخلل القائم، تثبيتا للفوضى الفكرية وتعطيلا للحلول العملية، ولسهولة ’العمل في الظلام‘، ومن أجل الحفاظ على هيمنتهم على القوة المهيمنة على النظام الدولي.

---

[23] George Soros, Atlantic Monthly, February 1997.

[24] ما حذر منه العالم والفيلسوف الألماني ’يورغن هابرماس‘ Jurgen Habermas سنة 1975 من ’تناقض متجذر بين واجب الدولة الرأسمالية في تشجيع النمو الإقتصادي، وضرورة توفير الرعاية الإجتماعية Welfare State، حيث تستلزم كل من هاتين المسؤوليتين اتباع مبادئ تنظيمية مختلفة تماما عن الأخرى. إن النجاح في أي من الأمرين سيكون حتما على حساب الآخر‘. وبالتالي، فإنه وبالرغم مما قد يبدو عليه النظام الرأسمالي الحالي من تماسك وقوة، إلاّ أن ’ما ستنتجه الأزمة تدريجيا من تهديد لشرعية الدولة، سيؤدي في النهاية إلى إنهيار النظام بأكمله‘.

[25] راجع كتاب The Globalization of World Politics: an introduction to international relations لـ J. Baylis and S. Smith، الطبعة الثانية، NY: Oxford University Press، (2001)، ص. 220-221.

[26] راجع "العالم في ظل النظام العالمي الجديد" من كتاب ’منطقة الشرق الأوسط: بوابة للحل أو باب على الجحيم‘.

[27] والكلام هنا عن "الرأسمالية الإحتكارية" القائمة على الجشع والإحتيال والتسلط والإستغلال.

لقد "إنهار" الإتحاد السوفياتي، وانتفت بسقوطه "مستلزمات الفزاعة"[28] القابضة على أنفاس وحيوية العمل الفكري العقلاني والمنطقي... ومع "طلوع الفجر الجديد"، وانتهاء ’حالة الطوارئ‘، ظهرت الحقائق وما وصل إليه ’الغرب‘ من أمر واقع، فارتفعت الأصوات والإنتقادات والتحذيرات؛ وما يميز الأمور عن سابقها، أن الأصوات هذه المرة كانت من داخل المنظومة ومن الساحة الداخلية للقوة المهيمنة والنخبة المتسلطة على القرار الدولي! إن ما كان يثار و"بكل واقعية" على أثر إنهيار ’نظام القطبين‘ من "حقائق"، إنما كان يتعلَّق بـ "صميم" ما كانت وما زالت تعتمد عليه قوى التسلط من أجل البقاء، ناهيك عما تقتضيه المسألة من معالجات سريعة لا تخلو من المخاطر والمجازفات. وبغض النظر عما تحتمله تصريحات أصحاب ’الحلقة الداخلية‘ من تفسيرات مختلفة أو متعارضة، إلاّ أن في ما يقوله ’جايمس غولدسميث‘ الكثير مما يستحسن على كل المتسلطين أن يتفكروا فيه[29].

أنه لأمر مُدهِش فعلا أن يراقب الإنسان موت حضارة تدمّر نفسَها بنفسِها، بسبب عجزها عن إعادة النظر في صلاحية ما تقوم عليه هذه الحضارة من ’أيديولوجية إقتصادية‘، في ظروف وأجواء جديدة ومختلفة.[30]

جايمس غولدسميث (شباط/فبراير 1994)

هناك تغيرات إجتماعية وعالمية لا يمكن تجاهلها؛ وإذا ما أثبتت الحروب والإهتزازات الأمنية فعاليتها بالأمس في إحتواء الموقف وترقيع الخلل، فالأمور اليوم أكثر تعقيدا والنتائج غير مضمونة. لقد ظن البعض أن بإمكانه إعادة تركيب الإنسان، وبعد التجربة تبين أنه لا يعرف عن الإنسان شيئا. لا أريد "تبسيط" المسألة هنا، ولكنني لا أريد أن أتجاوز ما أبتغيه من وراء هذه الرسالة أيضا[31]. فما أحاول الإشارة إليه والتشديد عليه، هي الحالة التي آلت إليها ’اللعبة السياسية‘ من "تعديلات" على صعيد ’اللاعبين الأساسيين‘، من دول ومؤسسات شرعية إلى نخب تقيس الأمور على قياسها. وفي الوقت الذي يمكن للكثيرين فيه معرفة قدرهم، هناك من لا يريد الإعتراف بالواقع ولا بالحقيقة، ولأسباب تتخطى المصالح وكل الحسابات المادية. هناك عقلانيون واقعيون في تلك ’الحلقة الداخلية‘، يدركون تماما خطورة ما ينطلق منه زملاءهم في حساباتهم السياسية من خلفيات دينية ’خرافاتية‘[32]. إلاّ أن أصحاب القرار منهم، لا يريدون قبول حقيقة أن الذكاء لم يعد حكرا لفئة دون غيرها من البشر.

---

[28] ما كانت تقتضيه ’المصلحة الوطنية‘، في ظل وجود "العدو الواحد" وتحت التهديد، من "تستُّر" أو غض للبصر عن العيوب والمشاكل الداخلية، وكي لا يتهم المرء بالخيانة أو العمالة لما يمكن أن يعرض ’الأمن القومي‘ للخطر.

[29] إن في صِحَّة ودِقة ما يقوله العديد ممن يُحسب على هذه الفئة المحتكرة لدليل قاطع أن المسألة لا يمكن أن تقتصر على محاولات الإحتواء أو الإلتفاف على الإنتقادات المتصاعدة، إنما فيها ما يكفي للتأكيد على ما تربى عليه هؤلاء من أنا وجشع وتقديم للمصلحة الخاصة... ولعلها تكون عبرة لمن يعقل ويعتبر من أصحاب الزعامات والتسلط، الإقليميين والمحليين، حتى يراجعوا حساباتهم ويدققوا فيما يتحفهم به من يعتمدون عليهم اليوم من وزراء ومستشارين.

[30] Sir James Goldsmith, London Times, February 1994.

[31] من المهم جدا أن يقدِّر القارئ حساسية وصعوبة ما أحاول صياغته من نص أريد به رسالة قصيرة ومعبرة إلى كل من ’المعنيّين‘ وعامة الناس، ليفهمها كلٌّ حسب ’مفرداته‘ وتجاربه، وطبقا لما أبتغيه من تفاعل متفاوت لدى الطرفين.

[32] راجع "شعارات مبهمة، وتحالفات جديدة" من كتاب ’منطقة الشرق الأوسط: بوابة للحل أو باب على الجحيم‘. وللمزيد من التوضيح، فقط، أنظر إلى العنوان الذي اختاره ’دايفد فروم‘ لكتابه السابق الذكر عن ’جورج بوش‘، وحاول التفكير في تعبير "الرجل المناسب" وكلمة "مفاجئة" في تقديمه لرئاسة ’بوش‘!

ولنضع الأمور بشكل مبسَّط؛ ولكي نسهِّل على غير المتابعين فهم ما أبتغيه من كل هذه القصة، وما يربط بينها وبين ما نتكلم عنه من تأثيرات للعبة المحاور على الساحة الدولية؛ فلهذه اللعبة جذور تتمثل في ما يحمله النظام الرأسمالي من أزمات متكررة تستلزم وجود "عدو" أو تهديد وحالة أستنفار تبنى على أساسها المحاور، وتصرف في ظلها الأنظار عن العيوب الداخلية وعن الكثير من الحقائق. ولهذه الأزمات أوجه وعناوين متعددة، منها إقتصادية أو مالية، ومنها ما يتعلق بشرعية النظام القائم؛ ولقد "استُعمِلت" الحروب العالمية من قبل، وكلما بلغت الأزمة ذروتها. إلاّ أن المسألة اليوم مختلفة، ولأسباب متعددة، على رأسها ما شهدته ساحات الصراع الفكري الإجتماعي والسياسي العسكري، وعلى مدى العقود الثلاثة الماضية، من "عودة" للعامل الديني، وبزخم غير متوقَّع إلى "المعادلة". وحتى لا أطيل[33]، فإن ما تقام وتُحدَّد على أساسه المحاور اليوم على درجة من الحساسية والخطورة، وما كان بالأمس من مسؤولية الدول والحكومات المنتخبة، صار اليوم رهينة في يد "نخب مستهترة" لا تقيم وزنا لما تقتضيه المصلحة العامة، ولا يعنيها ما قد يتسبب به تطرُّفها من صراعات ومصائب.

لقد كان للدولة دورها في تقرير المصير وتحديد المصلحة العامة والتمييز بين العدو والصديق. إلاّ أن من يحتكر المهمة، ومنذ أواخر السبعينيات، هم مجموعة من ’المتطرفين الصهاينة‘، ومجموعات متفرقة من ’جماعات الضغط‘ المختلفة التوجه والإختصاص، على رأس كل منها صهيوني متطرّف... والمسألة لم تعد تخفى على أحد. كل من يعمل الآن في أي من المؤسسات الأكاديمية أو الطبية أو القضائية أو الإعلامية أو الإقتصادية أو السياسية، وفي أي من الدول المؤثرة، يعلم ويشهد على ذلك... وإن كانت تقتضي الحاجة بالأمس لكي يتستّر هؤلاء خلف ’فزاعة‘ ما يسمى بـ "نظرية المؤامرة"، فلبعض المتشددين من هؤلاء اليوم حسابات "عقائدية" لا يرون معها أي حرج في الإعلان عن هويتهم، وعن حقيقة توجهاتهم[34]... وعلى أساس حساباتهم هذه "تفرَض" التحالفات، ومن دون أي اعتبار للحدود أو الخصوصيات، أو لما حققته الأنظمة الإجتماعية من تقدم حضاري.

لم يكن من المعقول إقناع أو إلزام المجتمعات الغربية أن تتخلى عما جاهدت ودفعت الدماء ومئات الآلاف من الضحايا، لتتخلَّص من الأنظمة ’الأوتوقراطية‘ من حكم ملكي و’دكتاتوريات‘، ومن أجل الحصول على ما وصلت إليه من قيم وحقوق وحريات. وكما ذكرت فيما سبق، كان لا بد من "حدث عظيم ومفاجئ"، يستلزم الإستنفار المباشر و’إعلان حالة الطوارئ‘، بعيداً عن المنطق وعما عهدته الأنظمة الغربية المعاصرة من أساليب متأنّية ومتعقلة في دراستها وإتخاذها للقرارات. كان لا بد من إسكات "مثيري الشغب" من الأكاديميين والمفكرين العقلاء، وبأساليب غير مسبوقة، ظنا من هؤلاء الحاقدين على الإنسانية، أن بإستطاعتهم "بسط" "مشيئتهم"، عن طريق ممارستهم لهذا "الإرهاب الفكري"... وكان لا بد من جمع كل المرتهنين والمرتزقة من متسلطي وتجار العالم لمواجهة الحدث، وفي ’معركة فاصلة‘، يحتكر فيها النفاق العالمي تمثيل محاور الحرية والإعتدال... إلاّ أن ما يراهن عليه هؤلاء من "طلقة أخيرة"، وبإعتراف ’الواقعيين‘ من زملائهم في دائرة التحكم، لن يكون في مصلحتهم... ولعل في ما يقترفونه الآن من خروقات واعتداءات صارخة على المبادئ، وعلى القوانين والشرائع، بداية لنهايتهم، ولخلاص البشرية مما أعاثوه في الأرض من "شر" وفساد.

---

33 لقد سبق وتوسَّعت في هذا الموضوع في سياق حديثنا عن "قوى التطرُّف والإرهاب" و"جذور الخلل" في كتاب ’منطقة الشرق الأوسط: بوابة للحل أو باب على الجحيم‘.

34 وهذا ما دفع بالبعض من "المتعقلين" في صفوفهم للتحذير من مغبة ما يقومون به، كما بينته في بداية الحديث... ولمن يريد المزيد من المعلومات، أن يقرأ قليلا عما يسمى بـ ’الصهيونية المعدَّلة‘ Revisionist Zionism.

انعكاسات وتبعات ’اللعبة‘ على العرب والمسلمين

وعلى أثر تلك التطورات الإنقلابية، التي بلغت ذروتها بتحَصُّن نخب التطرف بـ "وعودٍ إلهية" تنتهي بنا جميعا في أتون حرب عالمية شاملة[35]؛ بما يمكن لتلك "المعركة الفاصلة" Armageddon أن تتسببه من خراب وتدمير للشعوب وللإنجازات الحضارية؛ علت الأصوات للمطالبة بالتعقل، ولتُسلَّط الأضواء على ساحة الصراع أو المعركة الحقيقية. عندما قُدِّم الإسلام ليحل مكان الشيوعية، وكتهديد بديل، أو "فزاعة" بديلة، لم يكن ذلك بإرادة المجتمعات الغربية، أو طبقا لمصالح مؤسساتها، أنما بتخطيط من تلك ’النخبة العاطلة‘، ولأهداف خاصة بهم وبما "ينتظرونه من وعود" في منطقتنا. ثم "شاء القدر" والتقت المصالح! وفي الوقت المناسب والمكان المناسب... فكان ’الزواج المؤقت‘ بين من كان يبحث عن علاج لأزمة إقتصادية قادمة، وبين "فئة مهووسة" من "متشددين عقائديين" لا يَقِلُّون وزنا ولا شأنا... ومن هنا كانت خصوصية منطقة الشرق الأوسط؛ ولتعود "مرة أخرى"، محط أنظار العالم وكل شعوب الأرض، ومنطلقا لتلك ’المعركة الفاصلة‘، أو ’حلبة صراع عالمية‘ لما يسبق المعركة من "فرز وتجاذبات" فكرية وعملية[36].

إن ما كان يقلق العقلانيين أن الكلام عن هذه ’المعركة الفاصلة‘ لم يعد يقتصر على "المتنبئين" أو ’أصحاب الأماني‘ ممن يدَّعي العلمنة من أصحاب المراكز الحساسة، بل في انتقال "الفكرة" لتُتداول بين ’صناع القرار‘ وعلى لسان رؤوس السلطة من متديّنين لا يخفون ما يؤمنون ويشعرون به من "تكليف إلهي" و"اتصال مباشر" مع ’الخالق‘، مما أثار حفيظة البعض من الحلفاء والأصدقاء في ’حلف الراغبين‘، ومن العناصر الفاعلة والأساسية... فللأوروبيين، المعروفين "بقلة تديُّنهم"، حساباتهم ومصالحهم؛ وإن كان احتياج الأمريكيين للنفط من الشرق الأوسط لا يتجاوز الـ % 20، كما يدعون، فالأوروبيون يعتمدون على ما لا يقل عن % 65 من هذه الإمدادات و"لحياتهم اليومية"؛ ومن هنا كانت "الصرخة" من أجل الهدوء، والدعوة من أجل التعقُّل والبحث عن مخارج سياسية.

كان من المطلوب أولا أن ’يُسحَب الفتيل‘، أو أن يُعطَّل ’الصاعق المُحَرِّض‘، والمتمثِل الآن في ما يسمى بـ ’الصراع العربي الإسرائيلي‘. كان لا بد من ’عملية إحياء‘ لمبادرات السلام، ولكن، مع دراسة مسبقة لأسباب استمرار فشل تلك المفاوضات، ولأن الفشل هذه المرة ستكون له انعكاسات خطيرة و"غير مسبوقة". وعلى هذا الأساس قدِّمت الدراسات والمبادرات، ونوقشت الإقتراحات[37]... إلا أن العقلية المتحجِّرة لهؤلاء المتطرفين كانت وفي كل مرة تحول دون الوصول إلى حلول عملية.

---

35 وحتى لا يلتبس الأمر على أحد، فالمقصود هنا، هم من سبق وتكلمت عنهم من ’متطرفي الصهاينة‘ ومن أتباع ’زئيف جابوتنسكي‘ Ze’ev Jabotinsky (1880-1940)، ممن يتستَّرون وراء ما يدَّعونه من ’واقعية سياسية‘، وما يسعون إلى تحقيقه تحت لواء ’الصهيونية السياسية‘ Political Zionism من ’دولة يهودية‘، وكبديل عملي عن ’أرض إسرائيل‘ Eretz Yisrael، تشمل منطقة ’الإنتداب البريطاني على فلسطين‘، بما فيها ’شرق الأردن‘ و’الأراضي الفلسطينية‘، بالإضافة إلى "الحدود الحالية" لـ ’دولة إسرائيل‘.

36 ولقد تمَّت عملية "الفرز" هذه على الساحتين الإقليمية والمحلية تماما كما تمَّت على الساحة الدولية، في ظل فرضية ’العدو والتهديد القائم‘، والتي على أساسها وفي أجوائها بُنِيَت "المحاور"، وفي ظلها صُرفت الأنظار أيضا عن كل الأولويات وعن الكثير من المصائب الداخلية والحقائق.

37 راجع ’التقرير‘ CIDCR (April, 2005)، الذي تمت مناقشته مع الجهات الأكاديمية المعنية، ليقدم بعد ذلك، وكورقة عمل ’يبنى عليها‘، إلى بعض السلطات الرسمية المختصة، بما فيها وزارتي الخارجية البريطانية والسعودية.

وكما للساحة الدولية 'نخبتها العاطلة'، فللساحات الإقليمية والمحلية نخبها التي لا تختلف بحالها عن النخبة الدولية إلاّ بانقساماتها واختلاف مصالحها، وفي انعدام الرؤى الموحَّدة وغياب الأولويات؛ مما كان يساعد، بالأمس القريب، على تمرير الكثير من المعاهدات و"المسرحيات" والإتفاقيات[38]... إلا أن أحدا من قيادات المنطقة اليوم لا يجرؤ على تحمل مسؤولية أية "مبادرة"، دون تعريض نفسه لما قد يفوق ما ناله أسلافه، عندما كان معظم العرب والمسلمين نائمين غافلين 'لا يقرؤون التاريخ'... ناهيك عما وصلت إليه الشعوب العربية والإسلامية من تقدم نسبي على صعيد 'الآفاق المعرفية'[39] والإتصالات التكنولوجية التي تنقل الخبر والحدث مباشرة، وإلى كل بيت وإنسان على وجه الأرض. ومن هنا، كانت الضرورة والحاجة إلى التأسيس لتلك "المحاور" الإقليمية والمحلية التي في أجوائها؛ وكما حصل ويحصل على الساحة الدولية؛ يمكن لكل هذه الإعتبارات الواقعية والمنطقية أن تهمَّش، وللمصلحة العامة أن تُغَيَّب، ولتُجَيَّش "الرَّعية" كل في "مزارع خاصة"، على رأس كل مزرعة 'ديك'[40] من "ديكتاتوريات" التطرُّف والقهر والتسلط، ومن "التجار" المرتهَنين لأعداء الأمة والدين.

ومع العودة إلى قصة الصراع العربي الإسرائيلي، والكل يعرف كم يشوب القصة من تعقيدات لا أريد الخوض في تفاصيلها، لأكتفي بتسليط الأضواء على بعض المراحل المفصلية فيها، والتي، عن طريق ربطها ببعضها، نتوصل إلى ما يعنينا فيما نتكلم هنا عنه. فلقد تطور هذا الصراع المزمن منذ أن "تكرَّمت" المملكة المتحدة والدول الأوروبية (أو 'الغربية') من ورائها بإهداء أرض العرب، 'أرض فلسطين'، لمن كانوا "يودون" التخلص منهم من الشعب اليهودي. ولقد اختلف المفكرون و"الفقهاء" من العرب فيما إذا كان 'الغرب' صاحب القرار، أم أن المسألة كانت و"ما زالت" بتدبير من 'الصهيونية العالمية'، وما يستلزم كل من الإحتمالين من حسابات سياسية وعملية مختلفة[41]. ولقد دفعت الأمة الثمن، والكل يعلم لمن يعود الفضل في هذا الخلاف والإنقسام بين القيادات العربية؛ فالمسألة أكثر وضوحا اليوم، ولعل أمر من كان يتحكم بمجريات الأحداث لم يعد يخفى على أحد... إلا أن قوى ما يسمى بالإستعمار[42]، عندما اضطرت إلى ترك البلاد لـ "تتحرَّر" ويستقل[43] 'العباد'، عرفت كيف تضمن لنفسها السيطرة والهيمنة، ولتلك الكيانات "المحرَّرة" ألا تتقدم 'في حياتها' أبدا.

---

[38] ومن أبرز تلك الإتفاقيات، ما تم توقيعه من قبل كل من رئيس المنظمة الصهيونية العالمية 'حاييم وايزمن' والأمير فيصل بن الحسين قبيل انعقاد مؤتمر 'فرساي' للسلام، والتي تعهد فيها الأخير دعم 'التوطين المكثف' لليهود في فلسطين مقابل مساعدة الحركة الصهيونية له في التأسيس لـ 'الأمة العربية الكبرى'!!! هذا النوع من "الإستغباء" لا ينطلي على أي من القيادات والزعامات العربية الحالية... وإن حصل، فمن المستحيل أن تمر المسألة مرور الكرام. (راجع الملف الملحق HM, Part 1, Chapter 4، الصفحة 2)

[39] كم من أصحاب العقول من لا يدرك اليوم حجم "الغباء"، أو فداحة الخطأ، الذي ارتكبه العرب في إعطاء ثقتهم وتسليم أمرهم لـ'لورنس العرب'، على صعيد المثال وليس الحصر؟ وكم من الناس من لا يدرك اليوم حجم "الخيانة" التي ارتكبها بعض القادة العرب بعد ذلك في حق شعوبهم وفي بيعهم لحقوق العرب!؟

[40] وللترويح عن النفس فقط، أنصح القارئ أن يطلع على، أو يعيد قراءة قصيدة 'في حارتنا ديك' للشاعر نزار قباني!

[41] لقد اعتمد عبد الناصر على نظرية أن إسرائيل كانت "مزروعة" ومن قبل الغرب في 'خاصرة العالم العربي'، طبقا لحسابات ومصالح تلك الدول الغربية، وأنه من الممكن هزيمتها بمجرد عزلها عن مؤيديها على الساحة الدولية. ولقد بنى حساباته على هذه النظرية طوال إحدى عشر سنة، لينتهي به الأمر بهزيمة الـ 1967.

[42] ومن الأولى تسميتها بقوى النهب و"القرصنة" واغتصاب الثروات؛ إذ أن واقع ما قامت به تلك القوى "الغازية"، إنما كان "عمارة" لكياناتهم ولحضارتهم الخاصة، وعلى حساب طاقات وموارد وحقوق ودماء الآخرين.

[43] وأي استقلال كان هذا؟... استقلال عن المحتل!؟ أم لأطراف الأمة عن بعضها، وضمن حدود مصطنعة رسمتها قوى الغزو والتسلط، لما فيه مصلحة خالصة لمطامعها في 'مصادر الثروة' ولسياساتها المستقبلية تجاه هذه المنطقة!!

لا أريد التذكير بـ ’زمن الهزائم‘، ولا بـ "الأخطاء المميتة" التي ارتكبتها ’الأنظمة الرسمية‘ وبعض القيادات العربية؛ إلا أن ما جرى في تلك الأيام الغابرة، لا يمكن له أن يتكرر بعد اليوم أبدا...
لقد استبشر العرب من قبل بوعود الرئيس ’ولسن‘ عندما أعلن عن ’النظام الجديد للعلاقات الدولية‘ (راجع ’الوثيقة‘ HM, Part 1, Chapter 4، الصفحات 2 - 3)، كما صدَّقوا وسلـَّموا بعد ذلك بما وعدهم به البريطانيون من ’حكم ذاتي‘، مستسلمين لما تركته في قلوبهم "تجاوزات" العثمانيين من أحقاد، وليجدوا بعد ذلك أنفسهم مقسَّمين في دويلات و"كيانات غير طبيعية" لم يُستشاروا فيها، ولم تكن لمصالحهم ولا لخصوصياتهم إعتبارا في رسم حدودها!. ثم كانت بينهم المحاور والتحالفات؛ قسم ملكي ’محافظ‘، وقسم تحرُّري تقدمي يريد الخلاص من تلك ’الأنظمة الرجعية‘؛ فعمَّت الكراهية وزادت الخلافات، فكثرت الإنشقاقات وتعاقبت الإنقلابات، فاستنزفت الطاقات وذبح الشعب والوطن.

ولقد دخلت ’شياطين الإنس والجن‘ بين الإخوة، وفي ظل تلك الأجواء المشحونة والمظلمة، ليتلاعب بمشاعر الناس ومصالح الأمة كل من البعيد الحاقد والقريب المتربّص من مقتنصي الفرص. و’يعيد التاريخ نفسه‘، فـ "يُستبدَل العثماني" بأهداف أخرى داخلية وإقليمية، عربية وغير عربية... ومن العراق إلى لبنان، تُهَيّأ الأجواء اللازمة، و"أحداث عظيمة ومفاجئة"، تُبنى على أعقابها الأحقاد، بعيدا عن المنطق والتعقل، وعما عهدته الشعوب العربية من تسامح أو "أخلاقيات في التخاصم"... ولإسكات مثيري الشغب من المفكرين العقلاء أيضا، تُستحدَث العشرات من وسائل "الإعلام الحر"، وتُستنفَر المرتزقة من الكتاب و"المحللين" من ’المرتهنين‘، ومن ’الجائعين على أبواب السلطة‘... فتدخل المنطقة في ما يُخطط لها من أجل استنزافها، من "تحالفات إرتهانية"، وفي ’معركة فاصلة‘، يحتكر فيها التطرُّف وأصحاب المصالح والمشاريع الخاصة، تمثيل محاور التحرر و"الإستقلال".

إن كل ما أريده هنا، أن أقول "الحقيقة"... وبغض النظر عما يمكن لتلك الحقيقة أن تتسبب به من "الم" أو حرج لي أو لأي إنسان آخر... لا أريد الدفاع عن أحد، أو تأييد أي من تلك المحاور، وإنني أقدِّر خصوصيات و"جراح" البعض، وأدرك حجم ما وصلت إليه بعض الأطراف من تطرُّف. إلاّ أن ما أراه من "قباحة" في استغلال المشاعر والشعارات، ومن "استخفاف" بعقول الناس، و"استهتار" بمصالح العامة، إنما يستوجب الآن تدخلا لا تراعى فيه "اللباقة" أو ’الكلام المعسول‘... ومن موقع المتخصص في ’الدبلوماسية الدولية وحل النزاعات‘، العارف بمجريات الأحداث، وللعقلية السياسية والخلفية "الثقافية" التي يتحرَّك على أساسها ’صناع القرار‘ على الساحة الدولية، أقولها وبكل صراحة و"وقاحة"، أن من بيدهم زمام الأمور، سواء على الساحة الدولية أو المحلية، إنما هم "تجار سياسة"، لا يعيشون إلاّ على ما هي عليه شعوبهم من "غيبوبة" أو "موت سريري".

إن ما يقف وراء ما نشهده من حماسة في بناء المحاور، خاصة على الساحة المحلية والإقليمية لمنطقة الشرق الأوسط، إنما يعود إلى ما وصلت إليه محاولات ’إحياء مفاوضات السلام‘ من تعثر، أو طريق مسدود، نتيجة تعنـُّت من لا يريد التسليم بحقوق شعوب المنطقة أو حتى بوجودهم "كبشر"! لقد عُرضَت عليهم كل الحلول المعقولة، وقدِّمت التنازلات، التي كان بعضها أقرب إلى الإستسلام منه إلى ما تستلزمه مطالب الأمن والإستقرار والسلام... وإن من يسايرهم الآن ويسير على دربهم و"طبقا لتوجيهاتهم" في بناء تلك المحاور من بعض قيادات المنطقة، إنما هم على علم ومعرفة دقيقة بتفاصيل ما يبتغيه هؤلاء الحاقدين؛ وأن ما يقوم به المرتهنون من تآمر على أهليهم و’أبناء جلدتهم‘، إنما يفعلونه عن سابق إصرار وتصميم، مدركين مستهترين بما ينتظرهم من حساب على يد شعوبهم عندما يستفيق الأحرار من غفلتهم، وسيستفيقون، ليدفع المتآمرون الثمن؛ ثمنا لم يدفعه من قبلهم أحد.

النقاط الرئيسية

لمواضيع نقاش لقاءات رأس السنة 2017/2016

تشخيص عام لجذور الخلل (ولـ ’الحدث السياسي‘)

في الساحة الدولية (والعالمية):

- اجتزاء للتجارب السيئة من مسلسل العلاقات البشرية (على مستوى الفرد والجماعة).
- هيمنة للنظرة وللأحكام السلبية والمتشائمة لطبع وطبيعة الإنسان والدولة.
- ’عالم فوضوي‘ وانعدام "تام" للثقة، يستحيل معه الاتفاق (للتآلف) على قِيَم أو "مبادئ" مشتركة.
- استحالة تشكيل ’نظام عالمي‘ (أو أي منظومة لإدارة المصالح المشتركة) و"بشكل ديمقراطي".
- بناء لـ ’الدفاعات العِدائية‘، "استباقاً" لانقضاض الخصم (أو "انقلاب الحليف"!) عليك.
- "مكر سلبي" يستحيل معه التعاون في مواجهة التهديدات الحقيقية المشتركة.
- انهيار للنظام القائم، مع ما يرافقه من "ضياع" أو خراب وحروب.

وفي الساحات الإقليمية والمحلية:

- عدم احترام للخصوصيات (ولأسباب داخلية أكثر مما هي استخفاف من قبل المُقيِّم الخارجي).
- "تشويش" (واختلاف جذري) في الرؤى، و"فوضى" (وانعدام للمهنية) في التخطيط الاستراتيجي.
- "تخلّف"، يقابله تطرّف في الاستسلام لما يستلزمه الأمر الواقع من مكر سلبي.
- هيمنة "اللامنطق الأقلّوي"، استمراراً في لعبة ’التحالف الارتهاني‘.
- فشل محاولات استئصال الأقليات دليل قاطع على استحالة النجاح في استئصال "الجامع".
- احتمال فشل استراتيجيات الردع القائمة والقائمة على "خلق" وخنق ردة فعل المجني عليه:

’القاعدة‘		’داعش‘		"قادم"
مُختلَق (أي مُخَطَّط له)	←	مُختلَق + طبيعي	←	طبيعي غير قابل للسيطرة عليه

حلقات 'الواقع والحقيقة' (الحلقتين الثانية والثالثة)

عِبَر وشواهد الحلقة الثانية:

- نظرية 'الواقعية' (و'الواقعية السياسية') ولِدت في أجواء (أو على أثر) "الارتجاجات" الاجتماعية والحروب الدامية والتي كان يُدفَع فيها الإنسان لِيَسقط من طبيعته الإنسانية وفي "طَبعِه" الحيواني.
- هيمنة "الواقعية" على سائر النظريات القائمة والسابقة (و'المثالية' منها خاصّة) كانت نتيجة فشل هذه النظريات في فَهمِها وتفهُّمِها للتغيرات الاجتماعية والسياسية القائمة (وفي "التأقلم" معها).
- أهمية التوازن في التفكير والحسابات بين المصالح والأخلاقيات: *'وفي الوقت الذي يتخلّى فيه أحدهما عن الآخر يولد التطرّف ويحدث الخلل'* (كتاب 'الواقع والحقيقة'، الحلقة الثانية، ص.16).
- ضرورة التفريق في السياسة (عِلماً وحركة) بين الرأي وبين الحقيقة، أو بين الأماني وبين "المُمكِن"؛ فالواقعية السياسية بطبيعتها (أو "بالأصل") لا تتطلَّب ولا تؤيِّد تجاهل المثاليات والمبادئ الأخلاقية، ولكنها تؤكِّد على ضرورةِ التمييز الدقيق بين ما نتمناه في كل زمان ومكان وبين ما يمكن تحقيقه في ظل ما يفرضه الزمان والمكان أحياناً من واقع لا يمكن تجاهله.

⇦ هل للحروب العالمية التي أدَّت إلى تثبيت 'النظرية الواقعية' (ثم إلى هيمنة 'الواقعية السياسية') علاقة بما كانت تشهده الساحة الأوروبية آنذاك من نهضة ومن إعلاء لـ "الإنسانية" ولحقوق الإنسان؟

⇦ ما الذي جرى (أيام 'مورغنثو') لمحاولات إصلاح الخلل عن طريق "التوفيق" بين المثالية والواقعية، أو ردم الهوة (أو "تجسير الهوة") بين المصالح (الشخصية والوطنية) وبين "القِيَم" والمبادئ الأخلاقية (بما فيها 'المبدأ' الأخلاقي لمصلحة بقاء الأمة والوطن')؟ وما علاقة الأمس باليوم في هذا المجال؟؟

⇦ هل يمكن لما شهدته ساحات القوى المهيمنة من "هيمنة" على مراكز صياغة وصناعة القرار فيها، ومن عملية ممنهجة من أجل "إغراق" الأرشيف المعرفي بملايين التحاليل والدراسات المضلِّلة و"العبثيّة" (أو غير المفيدة)، أن يحدُث "صُدفةً"!؟ ومَن (أو ما الذي) يَقِف أو يحول (بالأمس واليوم) دون المبادرة إلى تصحيح أو مجرّد محاولة "تلطيف" هذه النظرة السلبية والمتشائمة عن طبيعة الدولة والإنسان؟؟؟ (ما يُفترَض ويُغذّى ليُفرَض من طبع حيواني عدواني مبرّرٍ لما نعيشه اليوم من فوضى وشريعة غاب)

عِبَر وشواهد الحلقة الثالثة:

– رسم بياني لعملية ‘إدارة الدولة’ في ساحة القوة المهيمنة:

One Engine	→	Auto Gear	↗	“Sport” Mode
“Deep” Strategy		S / C Mode		Hard Power Politics
				“Popular” Parties: Republicans/Labour
			↘	Comfort Mode
				Soft Power Politics
				Ideological: Democrats/Conservatives

"غيار" Sport Mode يُستعمَل عادةً عندما تدخل استراتيجية الدولة في منطقة مطبات ارتجاجية أمنية تستلزم حكومات قريبة من الشعب من أجل "استيعاب" ردة فعله على حرب قادمة أو أي تغيير جذري.

– هيمنة أصحاب "العقلية الصلبة" على دائرة ’سياسة القوة الصلبة‘ (ودائرة ’سياسة القوة الناعمة‘)... خلفياتهم وأهدافهم من وراء إعادة مشهد ’المحاور‘، ومن تحديدهم لمن ينتمي لهذا المحور أو ذاك.

– الخلفية الدينية (’الخرافاتية‘) عند البعض المهيمن من أصحاب العقلية الصلبة... وقضية وتبعات ’زواج المصلحة‘ Marriage of Convenience بين الدوائر المتطرّفة من عالَمَي المادة والدين.

– حقيقة التطرّف في النظام الرأسمالي (من ’المنطقي والمقبول‘) نحو ما نعيشه من "نظام مالقراطي":

نظام رأسمالي	←	اقتصاد "سوق"	←	’سوق مال‘ متغوِّل احتكاري احتقاري

– أزمة ’الشرعنة‘ (Habermas) *Legitimation Crisis* وانتقال ’السيادة‘ من يد الدولة الشرعية إلى مَن لا يمكن مساءلته ومحاسبته من نُخَب "أقلويّة" مستهترة "تُفصِّل" وتقيس الأمور على قياسها.

– فرض مبادئ وقِيَم "السوق" وعلى جميع جوانب ودوائر الحياة على مستوى الفرد والدولة (’سُورُس‘).

– استعمال "الفزّاعة" (الشيوعية سابقاً، ثم فزّاعة و"موضة" ’التطرّف الإسلامي‘ و ’الإرهاب الإسلامي‘) أو العدو و’التهديد الخارجي‘ ومن أجل تبرير منهج الهيمنة وصرف الأنظار عن الخلل الداخلي.

⇦ لاحظ الشبه بين ’الرجل المناسب: الرئاسة المفاجئة لجورج و. بوش‘ (عنوان كتاب دايفِد فروم) وبين الرئاسة المفاجئة للرجل المناسب دونالد ترامب (كتاب ’الواقع والحقيقة‘، الحلقة الثالثة، ص. 22)

اللقاء الثاني

لقاء ’الموضوع الأمني‘

مفاهيمه، آلياته وعملية استغلاله، ومقترحات إصلاحية

مناقشة رسالة ’من أجل أمن بنّاء وشامل دولي وعالمي‘ Doc C

(General Communiqué / 2017, pages 6–18)

وفي ما يلي نسخة عن رسالة الدعوة للقاء، مع خلاصة النقاط الرئيسية لموضوع النقاش

مرفق مع هذا الإيمايل نسخة عن ورقة موضوع نقاش القسم الثاني من اللقاءات المناطقية Doc C (الموضوع الأمني)، والذي سنناقش تفاصيل الجزء الأول منه (أي من الصفحة 7 إلى الصفحة 11) في آخر أسبوع من شهر آذار المقبل، والجزء الثاني في الأسبوع الذي يليه.

يُفتتَح النقاش بشرح مدلولات ومقاصد عنوان هذا البيان (أو التحليل)، وتقييم مدى واقعية وعملية الطرح الذي يتقدّم به. وفيما يلي عرض لبعض النقاط الحساسة في الجزء الأول من أجل التفكّر فيها قبل مناقشة الموضوع:

- مسألة اختلاف الناس (والمجتمعات) في 'استشعارها' وتحديدها لما تراه من تهديدات ومخاطر، واختلافهم في تصوراتهم المتضاربة لمفهوم الأمن، وفي ما يتبع هذه التصورات من تقييمات متعدّدة لكيفية وعملية استعمال أو "توظيف" 'الأمن' (أي استغلاله) من أجل الوصول إلى الهدف المنشود.

← ما الفائدة من عملية إفساح المجال أمام مكونات الساحة (أيّ ساحة) ليتقدم كلٌّ بما لديه من هواجس، تحديداً لما يراه (أو "يتصوّره") من تهديدات ومخاطر ظاهرة ومُفترَضَة (أو "مؤمنَنَة" securitized)، وكيف يمكن لمشاركة العقلاء (ومن كل الأفرقاء) في عملية تقييم حقيقة وواقعية هذه التهديدات، وفي تحديد دائرة (أو حجم وأهمية) 'المُهدَّد' أو الجهات المُهَدَّدة (لكل تهديد يُتَّفَق على حقيقته وواقعيّته)، ومن ثم الاتفاق على أولويات العلاج (أو المواجهة) أن تساهم في وقف أو وضع حد للاستغلال القائم، وفي تسهيل وتسريع ما تستلزمه المخاطر المحدقة من بدائل (أو 'خطة طوارئ'؛ جهاز خاص أو نظام فعّال لإطفاء الحرائق) في حال أجبرت التطوّرات القادمة (ومع قرب الهاوية) أصحاب القرار على تغيير أو تعديل طريقة تفكيرهم وأسلوبهم العملي؟

- التركيز على محتويات الصفحة 10 (خاصة المقطع الأول)، والمقطع الأول من الصفحة 11.

← هل ستتمكن روسيا والصين وفي ما يُعاد تفعيله وتطويره من أجل "الجمع بينه" (منظمة معاهدة الأمن المشترك CSTO بقيادة روسيا، ومنظمة شنغهاي للتعاون SCO بقيادة الصين) من "تجاوز" ما كان يشير إليه البروفسّور كاليفي هالستي في سياق توصيفه لمسألة الأمن في هذه المنطقة "الناشئة" (الصفحة 10)؟ وهل لا زال هناك من أمل ليُعيد العقلاء في الغرب (أو في 'المحور المقابل') تقييمهم لمفهوم الأمن و"تقويمهم" لطريقة استعماله وطبقاً لما أشار إليه البروفسّور أرنولد وُلفرز في إطار تحديده لما ينبغي لأهداف الأمن القومي أن تكون عليه 'بالمفهوم العملي' (الصفحة 11)؟

النقاط التي ينبغي التركيز عليها عند قراءة الجزء الثاني من الورقة (إشكاليات المفاهيم القائمة، وعوائق الوصول إلى مفهوم شامل وواقعي للأمن العالمي) أرسلها قبل نهاية الأسبوع القادم.

موضوع نقاش القسم الثاني من اللقاءات المناطقية Doc C (الموضوع الأمني).

تذكير: لقاءات مناقشة تفاصيل الجزء الأول من الورقة ستقام ما بين 25 و30 من الشهر الحالي.

من أهم ما جاء في الجزء الثاني من الورقة (من الصفحة 12 إلى الصفحة 18)، ومما ينبغي التفكّر فيه قبل لقاءات مناقشة تفاصيله (في الفترة ما بين 1 أبريل و6 أبريل).

- إن ما سبق وتناقشنا تفاصيله (في لقاءات 'الانسجام الرؤيوي') من طريق هيمنة 'النظرية الواقعية'، وما رافق تلك الهيمنة من استغلال وما نتج عنه من 'أحكام متشائمة'، كان من أهم الأسباب التي أدّت إلى حصر الموضوع الأمني بالدولة (أو 'بمحتكر القوة' وبمؤسسات تلك السلطات الحاكمة)؛ لم تنطلق عملية توسعة مجال مفهوم الأمن في العالم الغربي وفي الدول المتقدّمة إلاّ بعد دفع فاتورة الاستمرار في "الاستهتار" والاستخفاف و"غرس الرؤوس في الرمال" بقتل قرابة المئة مليون شخص أبان الحربين العالميتين الأولى والثانية (الصفحة 7، المقطع الأخير).

← ومع مقارنة الأمر بما يجري الآن في العالمين العربي والإسلامي، هل يكفي ما دُفِعَت إليه مجتمعات هذه المنطقة (ولنفس الأسباب) من قتل وخراب ليتّعظ المستهترون وليستيقظ "الغافلون" (و"أصحاب رأس النعامة") من "سكرتهم"... أم أن ما تقدَّم من أثمان (إلى الآن) لا زالت "زهيدة"، وأن شرف أو "وسام النهضة" أغلى وأثمن (لا زالت) دونه الكثير من "الأضحيات"!؟

- وكي لا يساء تفسير استعمالي لكلمة 'عسكر' في الصفحة 12: ما فصّلته في نهاية المقطع الثاني من الصفحة 13 يوضِّح ما أعنيه وأردت التنبيه إليه من مغبّة الخلط بين وظائف مؤسسات الدولة، ومن هيمنة لبعض تلك المؤسسات على البعض الآخر، وما وصلت إليه المؤسسة الأمنية والعسكرية عند القوة المهيمنة (وبدفعٍ من "الواقعتيّين"، ومن أصحاب فكر الهيمنة) من فساد و"هيمنة واقعة"، ومن "واقع" يريدون تعميمه وفرضه على الآخرين.

← ولكن هل يمكن لهذا "المنطق" (أو "اللامنطق") أن يستمرّ، وخاصة في ظل التطورات القائمة، وفي ظل ما نشهده اليوم من "انقلاب مُمَنهج" على "مشروع العولمة" (أو انقلابٌ عليه ومن قبل أصحابه) ومن عودة (أو "إعادة") للنزعة القومية وللنهج الانعزالي؟

– مما لا شك فيه أن مسألة تعريف وتحديد قِيَم وشروط وضوابط العدالة ليس بالأمر السهل والبسيط، وفي بعض أحكام الواقعية السياسية الكثير من الحقيقة والواقعية. إن مشروع توسعة نطاق المفهوم الأمني (أو مفهوم الأمن) دونه إشكاليات تنفيذية لا يمكن تجاهلها أو الاستخفاف بها. ولكن المشكلة هنا ليست في ما تستلزمه دراسة الأمر من جهدٍ لوجستي ومادي غير متوفّرة الآن محفِّزاته. إنما هي في إصرار بعض الأقليات المهيمنة على اعتبار مطلب 'تجسير الهوة' بينها وبين الناس (أو أن مطالبتها بإعادة حساباتها خسارة أو تهديد لكل مكتسباتها... واقعٌ متوقَّع (وغير متوقَّع) يُذكّرني بما نبّهني إليه أحد الأصدقاء الحكماء (من حكماء صناع القرار في المملكة المتحدة) عندما اقترحت عدم الاستخفاف بمن ليس لديه شيء يخسره، فأجاب (ببرودته الإنكليزية المعروفة) أن ما علينا الانتباه إليه اليوم ألاّ نستخفّ بمن لديه (أو يظن أن لديه كل شيء ليخسره (وبما يمكن له وبمقدوره، في ظل امتلاكه لكل الحيلة والوسيلة، أن يقدم عليه)!

← هل يمكن لإعادة النزعات والنزاعات القومية والانعزالية أن تقضي على ما خلّفه مشروع العولمة هذا ("عَرَضاً") من 'حالة عالمية' (الصفحة 16)، أم أن الوقت قد حان للتفكّر بما يهدف إليه المشروع الجديد من خلط للأوراق ومواجهات عالمية دموية محتملة؟ وهل "بِيَد" "أصحاب قرار" العالمين العربي والإسلامي "الالتفات" اليوم إلى ما تفرضه "مصلحة بقائهم" من تسوية أو موازنة (ولو مؤقتة) بين شعار "حب الحياة" وبين مستلزمات البقاء على قيد الحياة؟؟ (نهاية الصفحة 15)